.. يمثل النحت احد روافد الحركة التشكيلية في العراق. لقد اصبح وعيافنيا للمجتمع ، بأثر تنوع اساليبه وتجاربه الابداعية. وذاكرة جمالية للمدينة ، بأسباب نصبه وتماثيله التي تشغل حيزا خلاقا في فضاءاتها. كان لـ(المدى) هذا الحوار واللقاء مع نخبة متميزة من النحاتين العراقيين ، لألقاء الضوء على انجازاتهم التي تقترح العديد من الاسئلة ، وتصـــــوراتهم عن واقع النحت في العراق.

(المدى) تفتح ملف.. واقع النحت وتطلعات النحات العراقي

- أمين سر جمعية التشكيليين: احذّر من هجرة ما تبقى من الفنانين التشكيليين.
- النحات عبد الكريم خليل: من المؤسف ان لا توجد لدينا مؤسسات خاصة ترعى المتاحف والفنون.
- النحات ناصر السامرائي: امانة بغداد ما زالت تتعامل مع النصب والتماثيل بطريقة عشوائية.
- النحات رضا فرحان: البناء الحضاري الوطني مسؤولية الجميع من اجل الجميع.
- النحات طه وهيّب: المشروع الفني يلاقي رعاية اكثر خارج البلد من وجوده في الداخل ، فالمعوقات لدينا كثيرة.
- النحات نجم القيسي: النحت العراقي يعيش حالة انحسار تامة.

حاورهم: سعد القصاب

❖ كيف نقيّم واقع النحت وتطلعات النحات العراقي وماهي الاسئلة التي تشغله؟.

النحات طه وهيب: النحات العراقي ومن ثم العملية النحتية يمضيان الان تحت وطأة واقع استثنائي مربك، وهو جزء من الظرف العام، الصعب الذي نمر به. الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى تعطيل المشروع النحتي في العراق. سواء ما يتعلق بالجانب الذاتي الخاص بتجارب النحاتين وتطلعاتهم الفنية أو بالمشهد الفني العام. النحات الان شبه عاطل. لأنه حتى وان رغب بتقديم منجزه سوف يلقى صعوبات شتى، لا مكان يحتوي تجربته، ولا يوجد ذلك المتلقي الذي يهتم بإنجازه. وفي ظل غياب تام لدور المؤسسة الفنية أو الجهة التي ترعى الأفكار والمواضيع والأعمال الفنية. هناك قدر من اللا جدوى يحيط بالفنان العراقي.

النحات ناصر السامرائي: الظرف الذي نحياه شديد الصعوبة. يعيش النحات الآن في بيئة لا تساعده كي يبدع ويقدم ما يتمنى من مشاريع فنية. كما ان الوسط الفني في حالة غياب. وهنا أتساءل: أين هي الجهة التي تلتزم المشروع النحتي؟ وكيف؟. تلك قضية مهمة، لأنها تتعلق بقدرة النحات على الانجاز، والتواصل مع العملية النحتية. ومثل هذا الموقف غائب في الوقت الحاضر.

النحات عبد الكريم خليل: اشكالية النحت في العراق ليست جديدة، لقد بدأت منذ عقود عدة، ومنذ الستينيات حينما كان النحات يعمل للدولة. بذلك ارتبط المشروع النحتي بمستوى رعايتهاوتوجهاتها السياسية. كان العقد الذهبي للنحت العراقي في تسعينيات القرن الماضي، عندما بدأ النحات يعرض في قاعات العرض الاهلية، وكان هناك الجمهور وليس المؤسسة الرسمية من يقتني العمل النحتي. كنت اتوقع مستقبلاً اكثر اشراقا للنحت، لانه بدأ مع الجمهور. لقد اخذ المجتمع يدعم الفن. الذي تنفس بحرية اكثر مما كان تحت رعاية الدولة وازدهرت بذلك الاساليب والاتجاهات النحتية. واخذ العمل الفني يحتفظ بقيمة نقدية وثقافية، كما بدأت اسماء جديدة بالظهور. ولكن المؤسف الان ان هذا المجتمع قد تضرر نتيجة لظروف السياسية السيئة، وماعاد احد يهتم بالفن. وصاحب ذلك، غياب قاعات العرض التشكيلي، وعروض الانشطة الفنية. لذا تعرّض المشروع النحتي الى حالة من التاجيل. وهنا علينا الانتباه، بعدم الاعتماد على الدولة لتحل معضلة الفن. بل علينا ان نعوّل على المجتمع والمثقفين وكذلك الوسط الفني. من اجل اعادة حضور العمل النحتي ولاعادة الثقة للنحات.

النحات نجم القيسي: علينا الاعتراف ان واقع النحت الان يعيش حالة انحسار تامة. وذلك عائد الى غياب قاعات العرض الفنية، عدم فاعلية المؤسسة الرسمية، عدم وجود المنتديات الثقافية والفنية. بمعنى ان الفنان محاصر بغياب هذه اللقاءات والتجمعات. ما ادى الى انزوائه وتأجيل علاقاته ونشاطه الفني، وهذه من الاسباب التي ادت الى ارباك الواقع الفني وطبيعة العملية النحتية بشكل خاص.

❖ماهو دور المؤسسة والتجمعات الفنية في رفد المشهدالفني النحتي؟.

النحات رضا فرحان: قبل الحديث عن دور المؤسسات الحكومية والجمعيات الفنية، ارغب بالحديث عن العملية النحتية ودورها. نستطيع تقسيم النحت الى الاعمال النصبية، التي لها علاقة وطيدة بالفضاءات المفتوحة والمكان المديني والمعماري. والنوع الثاني، هو العمل النحتي الذي يحتفظ بقيمة فنية وجمالية خالصة،والذي يتعامل مع الرؤية التجريبية والاسلوبية للفنان.

النوع الاول من الاعمال، يرتبط ارتباطا شديد الصلة بعملية البناء والاستقرار الاجتماعي وعمليات الاعمار التي يمكن ان تحصل. هذه الاعمال ترافقها دائما دلالات سياسية وثقافية ذات صلة بالوضع العام. الا انها للاسف ترفض من قبلنا، بسبب مفاهيم مغايرة سواء كانت سياسية او حتى دينية. اما مايتعلق بالتجربة الثانية، افترض ان الفنان العراقي على الرغم من انه في وضع لا يحسد عليه، نجده رغم ذلك يقدم انجازه بشكل ابداعي متميز، وكلما تسنى له ذلك. كثير من الفنانين العراقيين ينجزون الان في مشاغلهم اعمالاً فنية جيدة. الا انهم مازالوا في حاجة الى دعم المؤسسة الفنية وجمعية التشكيليين لتقديم منجزهم على نحو حضاري لائق. على هذه المؤسسات والتجمعات الفنية، ان تتبنى مواصفات وآلية تفكير تقدم به المشروع النحتي بطريقة تمنحه دورا حضاريا وجماليا مؤثرا داخل المجتمع.

النحات منذر علي: الخطاب النحتي العراقي ان جازت لي هذه التسمية، يحتفظ برؤى متعددة وحيوية. انه بدءا سليل تاريخ زاخرمن الاعمال الفنية ذات الطبيعةالحضارية. ان الفنان العراقي كائن مبدع ومتميز وبشهادة الكثيرين. وان المنجز النحتي العراقي كذلك مازال يزخرب هوية ثقافية وجمالية متفردة. الا ان الاشكال كائن في طبيعة تعامل الجهة المؤسساتية مع هكذا موهبة. المؤسسة الرسمية اصطنعت مسافة قائمة بين الفن ومجتمعه. انهالم تتعاط معه بطريقة تجعل منه رافدا في بلورة قيم جمالية واجتماعية وحضارية، بل مناسبة للاعلان عن افكارها. وهذا شيء مؤسف باي حال.

❖ يبدو انكم متفقون على غياب الجهة الراعية للنحات والعملية النحتية في العراق.

النحات نجم القيسي: الحديث عن الجهة الراعية، يعني الحديث عن الجانب الاقتصادي. الكثير من يمكن تسميته بالجهة المسؤولة او المؤازرة او الراعية، مصابة بالعوز الاقتصادي. كيف لها اذن ان تدعم اي مشروع فني. الامر يتعلق بالقرار الرسمي. المؤسسة الفنية الان، قائمة على التمويل الذاتي، كيف لها ان تقدم الفن بطريقة احترافية ولائقة. هناك مشغل للبرونز عائدلها لاتستطيع تشغيله ايضا لاسباب مالية. والامر كذلك يشمل التجمعات الفنية. على الدولة ان تدعم اولا الجهات الراعية، ومن ثم مناقشة مايمكن لهاان تقدمه للفن والفنان على حد سواء.

النحات عبد الكريم خليل: علينا ان لانحدد الموقف بالجانب الاقتصادي بمفرده. ان التزام نشاط نوعي لايحتاج الى مبالغ طائلة. واقتناء الاعمال الفنية لدعم المجموعة المتحفية في دائرة الفنون، لايتوقف فقط على الجانب المادي. الامر يتعلق بطريقة فهم المؤسسة الفنية او اية جهة راعية لدورها. الايمان بدعم وتنشيط العملية الفنية. ولكن المشكلة، انه لازال هناك قدر من القصور وعدم الفهم والسلبية في التعاطي بكل مايتعلق بالجانب الفني والجمالي، سواء مع الفنان اوعمله الفني.

النحات طه وهيب: اجد ان الامر يتسع الى جانب مغاير. هناك اسئلة اخرى، فالامر لايتعلق فقط في حالات الاقتناء. خذ مثلا عملية التوثيق الفني. يمكن للنحات او الفنان ان يوثق تجربته الفنية، ولكن من هي الجهة التي توثق للحركة التشكيلية والفنية في العراق؟. هذا امر يتعلق بالتاريخ الثقافي للبلد. ماذا انجز الفنانون خلال هذه المدة الزمنية من اعمال؟. اين هي المطبوعات والدوريات الفنية والكتب الخاصة عن الفن العراقي؟. ان المرحلة التي نحياها لم تلاق اهتماما يذكرا. هذه مسؤولية وزارة الثقافة وجمعية التشكيليين العراقيين. هناك سؤال مهم اخر: كيف نعيد بناء وافتتاح المتحف الذي سرقت اغلب اعماله؟. وكيف نعوض ونرفد المجموعة المتحفية، من خلال اعمال الفنانين الموجودين؟. المطلوب اقتناء اعمال فنية لرفد هذه المجموعة. هذه مسؤلية تقع على عاتق الدولة، وهي من مهماتها.

النحات عبد الكريم خليل:ارغب في تصور يساند ما تم طرحه. في السابق كانت المؤسسة الفنية المتمثلة بدائرة الفنون، تنظم سياستها الفنية بمشاركة مجموعة من المستشارين، وهم فنانون كبار. مثل الفنان الراحل اسماعيل الشيخلي، اسماعيل الترك، محمد غني حكمت، نوري الراوي. هؤلاء كانوا يصوبون عمل المؤسسة، ولكن ماذا يحصل الان؟. ان الموظفين العموميين في هذه الدائرة هم من يشرفون على النشاط الفني ويقترحون نوعيته، بغض النظر عن مستوى الخبرة المهنية والتخصصية.

ان المحاصصة السياسية اوقعت الفنان كذلك في مأزق، لان المؤسسة تدار الان من قبل اناس غير متخصصين.

النحات ناصر السامرائي: ارغب بالقول، ان لابد من وجود جهة مستفيدة قادرة على اقتناء العمل النحتي، وخاصة الاعمال ذات الطبيعة النصبية. وهذه عملية لديمومة النحت وتواصل النحات. وفي حالة عدم وجودها - واعني الجهة المستفيدة -، لاامل للنحات في انجاز بعض من مشاريعه. اما مايتعلق بالمؤسسة الفنية، فهناك من يتجاوزعلى حقوق الفنان وخاصة من بعض موظفيها العموميين الذين يطرحون انفسهم كبديل عنه.

المؤسسة الفنية تجهل الكثير من اسماء الفنانين ، ويطغى على نشاطها الجانب الاعلامي والاشهاري. وليس الجانب الجمالي والفني النوعي.

❖ هناك من يقول ان المشروع النحتي العراقي تورط كثيرا مع التوجهات السياسية، كيف تنظرون الى امر كهذا؟.

النحات رضا فرحان: علاقة الفنان بالوضع السياسي علاقة طبيعية وليست استثنائية، فالظرف السياسي محرك لمخيلة الفنان. والاخير جزء حيوي من المجتمع. ولكن الذي يبعث على الغرابة هو ما يتمثل بثقافة الاقصاء . فلازال الكثير منا متمسكا بها. وهذا ينسحب ايضا اثناء التعامل مع العمل الفني. ان كل مجتمع سياسي لدينا اول مايرغب القيام به، ازالة كل شيء تم تنفيذه في السابق. بخلاف مايحصل في العديد من دول العالم، فهناك مازالوا يحتفظون بالنتاج الفني، لعديد من الحقب السياسية ورموزها .انك تجدفي ساحة عامة رمزا يشير الى تاريخ سياسي معين وفي ساحة اخرى تجد مايناقض الاول. النحات خالد الرحال تعرضت نصبه الى هكذا اجحاف. وهذا شيء مؤسف، لانك لاتستطيع ان تعيد ما ابدعته يد الفنان مرة ثانية. اقول ان حالة الاقصاء، انسحبت على الجانب الابداعي للفنان وعمله.

النحات نجم القيسي: الفنان بالضرورة يعكس مرحلته التاريخية بكل ابعادها. لقد شاهدنا في البلدان الغربية آثارا من مراحل تاريخية عدة. وهذا ماحقق قدراً من التراكم الفني والتاريخي. في الوقت الذي تجد ان اثارنا الفنية والمعمارية، تعرضت الى التخريب والتهديم. وهذا شيء يبعث على الاسى.

النحات منذر علي: بالتأكيد ان السياسة لعبت دورا في موضوعات التماثيل والنصب النحتية. ولكن هذا الامر لم يفهمه السياسيون انفسهم. من الضروري وجود جهات مسؤولة عن حماية الارث الفني.

❖ هل نحن في حاجة حقا لوضع تقاليد تحمي الانجاز النحتي والتجربة الفنية للنحات.

النحات طه وهيب: انا احيل الامرالى وعي المؤسسة الرسمية، ومنظمات المجتمع المدني والفنان كذلك. واعترف بوجود صعوبات كثيرة تجاه اي مشروع فني. لعدم وجود آليات تعامل صائبة حول كيفية حماية هكذا تجربة. ان المشروع الثقافي او الفني يلاقي رعاية اكثر خارج البلد من وجوده في الداخل، فالمعوقات عديدة.

النحات ناصر السامرائي:- نحن الان بصدد تشكيل لجنة للنحت عائدة الى جمعية التشكيليين العراقيين. يقع على عاتقها صياغة ضوابط وشروط، لتسهيل انجاز الاعمال النحتية دون عراقيل. وسهولة انتقال العمل النحتي خارج العراق، مع اقامة العديد من معارض النحت. وحتى دعم النحات ماديا. وكذلك، التوصية للمؤسسات الرسمية بالتعامل مع النصب والتماثيل بطريقة لائقة. ان امانة بغداد لازالت تتعامل معهما بطريقة عشوائية.

النحات رضا فرحان: على المثقف والفنان ان يفترض ويكرّس تقاليد حضارية، يتبناها السياسي والاقتصادي والمجتمعي. هناك غلبة للسياسي المخاصم على الثقافي والفكري الموحد والمتنوع. اجد مسؤولية البناء فيها قدرا من الشمولية، ويجب ان تضم الجميع لاجل الجميع.

الفنان قاسم سبتي امين سر جمعية التشكيليين العراقيين: عن لجنة النحت وتوصياتها.

ان مقترح اقامة لجنة للنحت ليس بالجديد، هذه الفكرة قد تم طرحها منذ عام تقريبا، وتحققت الان. الغرض منها، التأكيد على تقاليد العملية النحتية وشروطها، وكذلك حماية النحات. ان الظرف الذي يمر به شديدالصعوبة. استطيع القول، ان دوره ملغى تماما وخارج تفكير المؤسسة الرسمية.

لقد تم دعم لجنة النحت من قبل جمعية التشكيليين العراقيين. اذ عقدت ندوة وخرجت بتوصيات، كان اهمها:

- اقامة معرض للنحت والشروع بطباعة كتاب خاص عن النحت العراقي.

- توصيات فنية اخرى.

نحن نسعى من خلال هذه اللجنة، الدعوة الى الاهتمام بالمنجز النحتي واشاعة الثقافة الفنية والجمالية.

ان القاعات الفنية الان تعاني من غياب جمهورها . واصبح زاد المعارض الفنية هو الصمت. لااحد يهتم بالفن والفنانين، وخاصة المؤسسة الرسمية ، والتي عليها العمل من اجل مشروع يشبه مشروع مارشال، لمساعدة الفن والثقافة العراقية. والا فهناك هجرة للفنانين، وانا احذر منها.

لقد اتخذنا بعض الاجراءات، اولهاتخصيص مبالغ معينة للنحاتين. ان بعضهم لايجد حتى قوت يومه. وكذلك، الشروع بمخاطبة الامانة العامة لمجلس الوزراء وتقديم عدد من التصورات لدعم التجربة التشكيلية في العراق. ايضا، مفاتحة امانةبغداد، لجعل اللجنة طرفا في المسابقات النحتية التي يمكن ان تقيمها او تدعو اليها.

ان تفعيل واقع النحت يحتاج الى دعم حكومي وبعض دعم الجمعية هو حل مؤقت ليس الا.

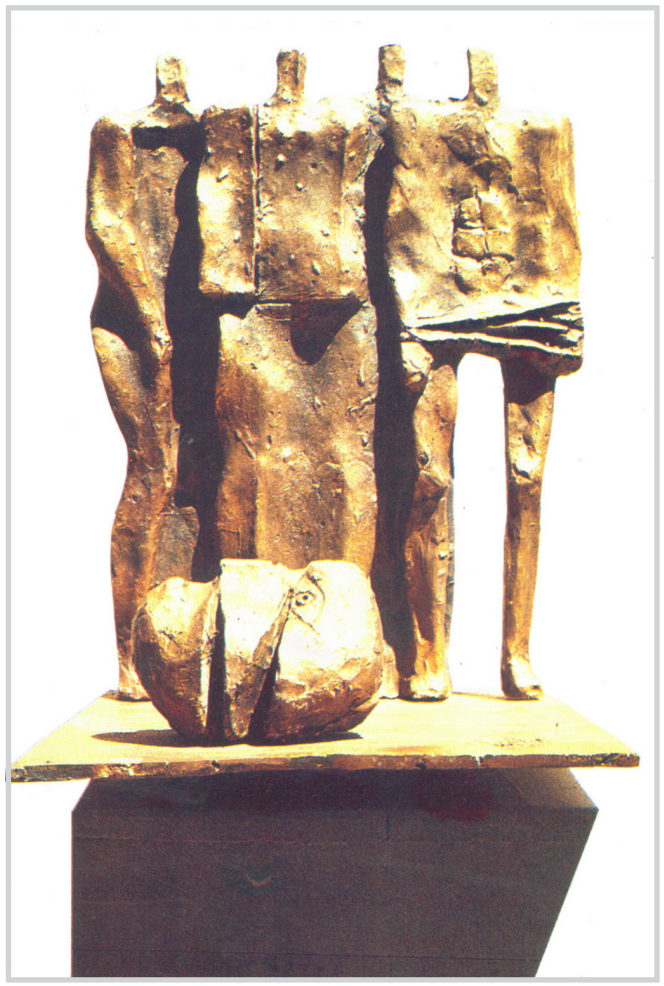

مارتن موزاباخ كاتب الأساليب القديمة

يوفا فيتشتوك

ترجمة: قاسم مطر التميمي

على أنّ التقديرات الأدبية قد تغيرت خلال السنوات الأخيرة و أن تلك الآراء المتعصبة قد وضعت جانباً.

فمنذ باكورة أعماله (السرير) 1983 –، مارس موزاباخ كما لم يمارس أحد غيره من الأدباء الألمان المعاصرين، فن الرواية الإجتماعية. منذ ذلك التاريخ وحتى آخر رواياته (القمر والفتاة) التي صدرت في منتصف حزيران ٢٠٠٧، وهي عبارة عن منظر كلي Panorama متميز وجلي وممتع لحاضر ألماني –يركز دائماً على المدينة التي شهدت مسقط رأسه، مدينة فرانكفورت التي لم تعثر منذ سنوات الحرب، على رسام محب سواه.

كُتُب موزاباخ بأسلوبها الروائي التقليدي التي ما زالت في نظر النقاد المعاصرين ذات سمة محافظة إن لم تكن رجعية، لم تجد بعدُ الإعتراف الذي تستحقه. الرواة في روايات موزاباخ لم يتركوا القارئ وحيداً أبداً، إنهم يعرضون مادتهم أمامهم بحكمة وروية، يفسرون بالتفصيل كل الأحداث، أفكار أو حوارات الأبطال، المدافع عنهم والمتهم و القاضي يختزل في شخص واحد، ويحرصون على الإبقاء على مساحة مريحة من الشخوص دون النظر إليهم بإستخفاف. وفي هذا المضمار إبتكر موزاباخ لغةً بدت قديمة للوهلة الأولى، إذ كانت موجهة لتحديد نبرة وقورة أنيقة، كتلك التي يجدها المرء على سبيل المثال لدى هنري جيمس. وهي تفصح بذلك عن التعبير الصارم لشخصية هذا المؤلف.

غير أنه من ناحية أخرى لم يدع لهجته الروائية تصطدم بأسلوب اللغة الإعتيادية الدارجة لبعض شخوص رواياته الذين يرتبكون تماماً في ملاحنة الحاضر ولغته الإصطلاحية.

في روايته (ويست إيند) Westend. ١٩٩٢م عرض موزاباخ مصير سكان إحد الشوارع الإفتراضية في حي شعبي بمدينة فرانكفورت، عرضه على القراء. وهنا نلمس بوضوح مدى تأثره الأدبي بـ(هايمتو فون دودير) Heimito von Doderer . الرواية تبدأ بمقدمة طويلة وتتحدث بصبر وأناة عن تفاصيل الحياة اليومية التي يعيشها سكان هذا الشارع وذلك في أكثر من ثمانمائة صفحة.

روايات موزاباخ اللاحقة صارت أكثر قصراً وأكثر تركيزاً دون أن تبتعد بسبب ذلك عن نموذج الرواية الإجتماعية الواقعية. في روايته (ليلة طويلة) . ٢٠٠٠م تحدث عن سرد قصة طالب فاشل انشأ شركة لإستيراد الملابس الرخيصة من باكستان وفجأة وجد نفسه في محيط إجتماعي غريب.

في روايته (التركية) . ١٩٩٩م يقع شاب جامعي ينتظر منه الخير في حبائل امرأة تركية تعمل في غسل الملابس. وفي روايته (الزلزال) . ٢٠٠٥م يروي قصة معماري يهرب من محيطه الإجتماعي بعد أن تأكد من خيانة حبيبته له، يهرب الى ملك (مهراجا) معزول في الهند فيعيد له بناء قصره من جديد.

كثيراً ما يعرض موزاباخ في رواياته حقيقة أن المجتمع اليوم ليس كائناً ضخماً منغلقاً ومتجانساً حضارياً، بل هو يخوض غمار تناقضات عرقية وسياسية عميقة enthnischen. وهكذا اتخذ هذا المؤلف من مدينة فرانكفورت مركزاً لأعماله، ونقطة يلتقي فيها شخوص رواياته.

غير أن التناقضات التي تنشأ من ذلك لا يعدها موزاباخ خطرة بل يصفها دائماً بالمادة التي تغني العمل الأدبي. وإذا كان في أحدث رواياته (القمر والفتاة) قد جمع في فناء خلفي بالقرب من محطة القطار الرئيسية لمدينة فرانكفورت بين مصري ألماني شاب وبواب مغربي وعامل أوكراني ونادل أثيوبي وقبطية سورية نبيلة، في حفلة سكر وعربدة يقيمونها في كل ليلة، فإن هذه بالنسبة له تضفي على المشهد مرحاً رائعاً.

حقاً إن من غير الإنصاف أن يتهم موزاباخ بإعادة عجلة الرواية الى الوراء. فعن سؤال مفاده ؛ ماذا ترى في هذا السوق الحديث الملتهب للطبقة الوسطى، أجاب: " أفهم هذا على أنه إهتمام بالماضي. النموذج الذي يتطلع إليه الناس من خلال القرنين الأخيرين يسمى التقدم. ومنذ ذلك الوقت وأفكار التقدم هذه تثار حولها الشكوك ".

مارتن موزاباخ

حقاً لقد حصل المؤلف على أعلى وسام في الأدب الألماني. فقد أعطى موزاباخ للرواية الإجتماعية زخماً جديداً. ونشرت كتبه الكثير من الفكاهة وظرافة البانوراما الألمانية.

منذ عقود وعلماء اللغة ونقاد الأدب في هذه البلاد على يقين بأن الرواية الإجتماعية لاسيما تلك التي تروى كتقليد شعبي، مثل التي يكتبها (فونتانا) و (توماس مان) أو (دودير) غدت اليوم جزءاً من الماضي. أما إذا حصل أنها ما تزال تروى، عندئذ لا بدّ أن تكون روايتها صادرة عن نظرٍ كتاب نورين يكتبون بنبرة مقتضبة يعبرون عن شكوكهم و تمردهم الدائم على كل نظام موروث. الروائي العبقري الذي يقود بالسخرية و الرثاء فرقة من الشخوص، يعتبر غاطساً تحت طبقة من تراب القرن التاسع عشر.

إذا كان مارتن موزاباخ قد منح الآن جائزة (جورج بوخنر) إلى جانب جائزة (غوته) التي ما زالت تعتبر أهم جائزة أدبية في البلاد، فإنّ هذا دليل إضافي

" ليس بدون العرب " .. كتاب سويدي عن الصلات الثقافية بين العرب واوربا قديماً

طالب عبد الأمير

مع ان كتاب " ليس بدون العرب " لمؤلفة الباحث يان بريمان، صدر قبل سنوات لكنه ظل محصورا في اطار لغته السويدية، لذا ارتأيت تصفحه للقارئ العربي باعتباره واحدا من الاصدارات المهمة، المؤلفة في الغرب، التي تنصف العرب والمسلمين وترد الاعتبار لمكانتهم التي تبوأوها، على الاقل، في العصور الاولى لنشأة الحضارة. يحمل هذا الكتاب بين طياته مادة اعلامية غنية، رغم قلة عدد صفحاته، حول دور العرب والمسلمين الحضاري في تاريخ الشعوب التي احتكت بها. اذ يستعرض فيه المؤلف شواهد من ثقافات الشرق التي طعّمت الثقافات الاوروبية بموتيفات مختلفة اصبحت جزءا من تاريخها. يشير البروفيسور بريمان، في ديباجة الكتاب، الى انه ومن "خلال ما يستعرضه من نماذج لهذه الظواهر الثقافية التي يتميز بها العالم العربي، تلك التي جرى الاحتكاك بها سواء بشكل مباشر او غير مباشر، والتي مازلنا نلتقى بشواهدها في ثقافتنا، أود، من خلال الامثلة المحددة ان ارسم صورة توضيحية للالتقاء الحضاري والصلات الثقافية التي من السهل نسيانها".

كتاب " ليس بدون العرب " هو جزء مكمل لمعرض حمل نفس الاسم وضم تشكيلات من طراز الفن العربي الاسلامي القديم، الذي اقيم في السويد قبل سنوات مضت. وقد قصد منه مؤلف الكاتب حينئذ، بوصفه مؤرخاً، تسليط الضوء على جذور الثقافة الاوروبية والسويدية على وجه التحديد التي تطورت، كما تعقدت ايضا، بصورة اكبر مما يتصوره المرء او يعيه. فهو يشير الى أن "القاء نظرات سريعة على هذه التفاعلات الثقافية المتطورة والمعقدة في آن واحد يمكن أن يجعلنا ننظر بعين التقدير والاعجاب الى هذه العلاقات العظيمة التي ننتظم في صفوفها. هذه العلاقات التي نعمل معاً على تطويرها ودفعها للامام ".

يتحدث الكتاب عن دور العرب الحضاري والانفتاح الثقافي الذي وسمته اللغة العربية ليس عند أهلها الناطقين بها فحسب، بل وأن العربية اصبحت اللغة الثقافية السائدة بين عدد من الاقوام الاخرى. "فخلال الانفجار الثقافي في الشرق القديم قدم اليهود في بلاد مابين النهرين والمسيحيين في سوريا اسهامات ثابتة، ليس فقط عن طريق الترجمات الى اللغة العربية، بل ومن خلال الكتب التي الفوها اصلاً باللغة العربية"، كما يستعرض المؤلف بشكل سريع مظاهر الازدهار الثقافي العربي في أسبانيا وشمال افريقيا في القرنين العاشر والحادي عشر مؤكدا على دور اللغة العربية التي أسهمت، بغناها وامكاناتها في التعبير، في انتشار هذا الازدهار بين الشعوب. ومن خلال التأكيد على الزمان والمكان في استعراض العلاقات الثقافية بين الشعوب ينحو المرء الى استقراء التاريخ، ولكن بأي تاريخ يتعلق الامر؟ وتاريخ من؟ هذا ما سعى مؤلف "ليس بدون العرب" التوجه نحوه. وحينما يتحدث عن المكان فهو يأخذ الكرة الارضية التي رغم كونها دائرة كبيرة، فأنها وككل شيء مادي لها وجهان. فهي لاشك تبدأ من نقطة تشكل منطلقها التي تتوجه منه. والتوجه هنا مرادف لكلمة " ORIENTATION المشتقة من كلمة -ORI ENT اللاتينية والتي تعني الشرق، كما يشرحها المؤلف. وعندما يتحدث عن ذلك فهو يسعى للبحث عن جذور التاريخ، حيث يقوده طريق التوجه -ORIENTA TION نحوها الى الشرق ORIENT.

وهو حين يشرح معنى كلمة الشرق ORIENT ويعيدها الى فعل " شروق الشمس" يريد التأكيد على ان الشمس هي محور نقطة التوجه (التشرق). فبانطلاقتها يولد يوم جديد بكل ما يحمله من نور ودفء وحياة جديدة. وليس هذا فحسب، فالحمرة التي تلون سماء الشرق وجد لها المصريون القدامى تفسيرا وجده المؤلف منطقيا، فهي تجسد لون الدم الذي خلفه الصراع ضد التنين آبوفيس الذي حاول منع الشمس من الشروق فوق الافق.

أن هذا المثل من مصر القديمة "يعلمنا" كمايقول المؤلف بأن التوجه (التشرق) يتعلق أساسا باتجاه محدد بشكل قاطع. وهذا مانجد ملامحه في السويد ايضا، من خلال بناء الكنائس ووجهتها نحو الشرق، "وحتى المقابر لها اتجاه شرقي غربي، حيث يوضع الموتى في القبور ووجوههم ميممة نحو الشرق، نحو المسيح". وحينما يتحدث المؤلف عن الشرق وبزوغ الشمس والضوء فيه والذي يطلق عليه "بلاد الصباح" فهو يتحدث ايضا عن القسم الثاني من الارض، الغرب، المنطقة التي تغرب الشمس فيها والذي تسمى بـ"بلاد المساء". ويشير بالنص الى "اننا حينما نتناول التطور الثقافي بمعناه الواسع ، يجب علينا نحن في بلاد الغرب أن نعترف بان الشرق بثقافاته المنسابة مع مجريات نهري النيل والفرات، كان هو الرائد الاول بالنسبة لثقافاتنا".

أن المصطلح اللاتيني " Oriente Lux من الشرق يأتي النور" لايتحدد عند مؤلف كتاب "ليس بدون العرب" بمعنى "شروق الشمس"، بل يتعدى ذلك الى المعنى الثقافي العميق للمصطلح، وقد كتب كلمة "النور" بحروف كبيرة للتأكيد على دلالة هذا المغزى، وشفاعته في ذلك أن الكثير من الديانات التي نبعت في شرق البحر المتوسط انساب جريانها باتجاه الغرب، وان كثيرا ما يشكل الدين والثقافة خطين متقاربين في سلم التطور التاريخي، حسبما يراه يان بريمان الذي يتابع بزوغ الشمس من شرقها متطلعا الى السماء الذي تتكور في احضانه، فيربط هذا التطور المتواصل بعلم الفلك عند المسلمين و"اركان العالم السبع" التي تحدثت عنها ثقافات الشرق الاولى حيث تتواجد دعائم السماء. فهو يقول: "أنه ليس من المصادفة بأننا استعرنا الكثير من المفاهيم المتعلقة بعلم الفلك من العرب. عندما كان العرب يعبون البلاد الصحراوية على جمالهم التي كانوا يلقبونها بـ"سفن الصحراء" لم تكن هناك علامات على الطريق يستدلون بها، فكانوا بدلا عن ذلك يتطلعون نحو السماء للاستدلال بنجومها فاكتسبوا خبرة تطبيقية في "جغرافية النجوم".

ثم يعدد ملامح التلاقح الحضاري بين الشرق واوروبا مشيرا الى فضل العرب القدامى واسهاماتهم المميزة في مجال الثقافة والعلوم المختلفة. وعلى صعيد تاريخ الكتاب يشير المؤلف الى ان بغداد كانت مركزا كبيرا للكتب، اذ وصل عدد المكتبات التي وجدت في بغداد عام ٨٩١ الى مئة مكتبة. ولايغفل دور العرب في علوم الحساب حيث يقول: "أن فن الحساب هو المجال الذي لدينا السبب الخاص في الاعتراف بفضل العرب علينا فيه. فقبل كل شيء أن كلمة Siffra باللغة السويدية وتعني رقم، جاءت من اللغة العربية". ويستخدم المؤلف مشتقات هذه الكلمة مشيرا الى ان كلمة Code هي من كلمة Chiffer الانجليزية والتي اصلها الكلمة العربية صفر. ثم يشير المؤلف الى المسكوكات العربية التي اكتشفت في السويد والتي بلغت ثمانمائة الف مسكوك فضي من العملة العربية التي تذكرنا، حسب قوله، بعلاقاتنا التاريخية مع العرب. ويكرس المؤلف الفصل الاخير من الكتاب، وقد وسمه بعنوان " مصدر عربي لتاريخنا القديم، للحديث عن ماكتبه الرحالة العربي أحمد بن فضلان الذي وصف عند مروره بسواحل نهر الفولغا اقواماً شقراً كانوا يمارسون طقوس دفن زعيم لهم.. وكان هؤلاء القوم من السويديين الفايكنغ. ويشكل وصف بن فضلان اليوم أهم مرجع تاريخي عن عادات وممارسات السويديين القدامى. وحيث يعود المؤلف الى العصر الحديث فهو يحصي عددا كبيرا من المفردات في اللغة السويدية ذات الاصل العربي مشيرا الى ان وجود مهاجرين عرب في المجتمع السويدي يعد اغناءا للغته وثقافته.

وقبل ان ننهي استعراضنا لهذا الكتاب الذي حمله مؤلفه الباحث السويدي يان بريمان عنوان "ليس بدون العرب" لابد من الاشارة الى ان كتباً عديدة ألفت من قبل كتاب سويديين تتحدث عن الدور الثقافي التاريخي للعرب والمسلمين، حيث عرف السويديون الاستشراق في القرن السابع عشر ، عندما تأسست جامعة "اوبسالا" وجعلت تدريس اللغة العربية الزاميا لطلاب العهد القديم، حيث تناولت اول اطروحة في شؤون الدين الاسلامي بعنوان "اصول الدين المحمدي". وكان الاسلام، قبل ذلك معروفا للسويديين بقرون عديدة، حسبما تطلعنا الكثير من الدراسات التاريخية المعاصرة. اذ تشير الباحثة سيغريد كاله الى ان ملك السويد كارل الحادي عشر كان مهتما كثيرا بالدرسات التي كانت تتحدث عن الشرق، كما أن خلفه الملك كارل الثاني عشر كان يشجع علماء اللغة والمفكرين الى السفر الى الشرق والاستلهام من كنوزه وعلى نفقته، وقد جمعت البعثات التي ارسلها الى اسطنبول وخراسان نصوصا قيمة باللغتين العربية والفارسية اصبحت الان مصادر مهمة للبحوث في جامعات السويد، بعدما تم اعدادها وتصنيفها بشكل علمي. وبسبب اهتمام كارل الثاني عشر بالعلاقات الثقافية مع الشرق ومسلميه، كسر الملك فترة الحضر على جميع الاديان، التي سادت السويد بين القرنين السابع والثامن عشر، والتي طغى فيها التزمت البروتستانتي، عندما سمح بمرسوم ملكي لممارسة المسلمين طقوسهم احتفاءا بممثلي "الباب العالي" الذين جاؤا من بطون الامبراطورية التركية لزيارة الملك، وكان لذلك الحدث تأثيره الكبير لاحقا على مسار العلاقات التاريخية التي ربطت السويد بالشرق الاسلامي في ذلك الحين. فبعد الخسائر الكثيرة التي مني بها الملك السويدي التجأ ونفر من حاشيته الى تركيا، وهناك اكتسبوا معارفا بلغات الشرق وفنونه وعمرانه، حيث عاد الكثيرون منهم الى السويد حاملين معهم كنوزا من تلك المناطق. ثم عززت الرحلات اللاحقة الى بلاد الشرق ومن ثم الاحتكاك التجاري عبر البحار تلك المعارف عن عادات الشرق وثقافاته، حيث تطور كل ذلك الى احداث اقسام في عدد من الجامعات لتدريس اللغات الشرقية ولهجاتها وظهور نخبة من المستشرقين الذين يمكن تمييزهم عن بعض زملائهم الاوروبيين بانهم يناصرون الموضوعية الى حدما، في ابحاثهم، بعيدا عن نظرية الاوروسنتراليزم التي ترى في كل ما هو غير اوروبي عديم القيمة.